

مفاهيم القرآن

(113) كيف لا; وكلّ الأحاديث الصحيحة التي نقلها أعلام السنّة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم في الفروع والأصول لا تتجاوز (500) حديثاً. قال السيد محمد رشيد رضا في الوحي المحمّديّ: (إنّ أحاديث الأحكام الأصول خمسمائة حديث تمدّها أربعة آلاف فيما أذكر)(1). وقال أيضاً في موضع آخر: (يقولون: إنّ مصدر القوانين الأمّة، ونحن نقول بذلك في غير المنصوص في الكتاب والسنّة كما قرره الإمام الرازيّ، والمنصوص قليل جداً)(2). هذه هي كلّ الأحاديث المنقولة عن طرق أهل السنّة، وهي تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم غالباً، بينما نعلم أنّ ما حدث ووقع بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله و سلم كان أكثر بكثير ممّا حدث في حياته الشريفة. ثمّ لما كانت أكثر الأحاديث ردّاً على الأسئلة التي يطرحها الصحابة، وتدور حول ما كان يحدث لهم، لذلك لم يسألوا عمّا لم يحدث ولم يقع بعد. وقد كان هذا عاملاً مهمّاً من عوامل قلّة الحديث النبويّ في الأحكام. هذا مضافاً إلى أنّ السبب الآخر لقلّة الحديث النبويّ؛ هو ضياع طائفة كبيرة منه، لعدم اعتناء الأوائل بتدوين السنّة وهو الأمر الذي استوجب وقوع الخلاف والاختلاف حتى في أبسط المسائل، وأكثرها ابتلاء؛ مثل الاختلاف في عدد التكبيرات في صلاة الموتى، وهو أمر كما نعلم ممّا يبتلى به المجتمع كثيراً، ولو كان هناك شيء مكتوب لما وقع الاختلاف والحيرة. فإذا بطل هذا الشقّ (أي استيعاب الأمّة جميع ما يحتاجون إليه وتكميل الدين من هذا الطريق) تعيّن الشقّ الآخر لتفسير تكميل الدين؛ وهو أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله و سلم أودع كل ما تحتاج إليه الأمّة من أصول وفروع لدى فرد أو طائفة خاصّة من الأمّة؛ لكي يرجع إليهم المسلمون بعده صلّى الله عليه وآله و سلم ويعالجوا بما يخرجونه إليهم من تلك المعارف والعلوم، _____ 1- الوحي المحمّديّ (الطبعة السادسة) : 212، 2-

تفسير المنار لرشيد رضا 5:189.